المقدمة

بسم الله والحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ الله وعلى آله وصحبهِ. اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع.

في بداية تدويني لبعض أحداث هذا الكتاب مما لم يكن مقرراً لها أن تنشر، ولكنها كانت مجرد هموم وخواطر كتبتها لأخفف بها ما حدث، وفي نفس الوقت لأوثّقَ تلك الأحداث التي وقعت لي أو لبعض الأشخاص ممن أعرفهم أو يهمني أمرهم، وفي إحدى المناقشات مع رفيقة دربي قالت: ألاحظك تكتب دائماً وتحاول أن تتذكر معنا بعض الأحداث والذكريات التي وقعت لنا خلال بعثتي (إيفادي) للولايات المتحدة الأمريكية، فهل لكتاباتك علاقة بذلك؟

قلت لها: الأمر لا يخلو من ذلك، قالت: إذن أنت تفكر في كتابة تلك الأحداث وتدوينها ومن ثم نشرها في كتاب، فأجبتها بأنني في الواقع لم أفكر في نشر تلك الوقائع؛ فأغلبها أحداث شخصية وعائلية، ولكن لعلها فكرة يجب أن أدرسها بجدية، وأفكر فيها ملياً. وهنا تبلورت الفكرة، وقلت في نفسي: لعلي أقوم بسرد أحداث وقصص محزنة ومفرحة حصلت لي ولعائلتي خلال بعثتي التي صاحبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وكذلك أطروحات لكتّاب شرقيين وغربيين ومقتطفات من أقوال بعض الصحفيين وما قدمته وسائل الإعلام (عربية أم غربية) من صحف ومجلات ودوريات ونشرات.

ففي هذا الكتاب جمعت تجارب وخبرات وتحليلات تلك الوقائع، فإن أصبت فيها فذلك من الله وتوفيقه، وإن أخطأت فذلك بسوء تقديري وقلة خبرتي، وما توفيقي إلا بالله.

محمد بن عبدالله القيسي الشهري

الظهران: ٣١٢٦١ ص. ب: ١٠٥٤

Mashehri @ Yahoo. Com

Mashehri @ Kfupm. edu.sa

الإصرار على النجاح

إن من أهم عوامل نجاح الإنسان في الحياة والوصول إلى المراتب العليا والدرجات القصوى منه اتسامه بصفة الطموح؛ الطموح الذي عرفه العظماء وسعوا إليه.. الطموح الذي يرتقي بصاحبه ويدفعه إلى الأمام.. الطموح الذي تتمناه الأمم لأبنائها.. الطموح الذي لا يستوعبه الصغار... نعم، فإن الإنسان الذي ليس لديه طموحات يسعى إلى تحقيقها؛ إنما هو إنسان فارغ من المعاني الحقيقية التي خُلِقَ لأجلها.

كيف لا يكون كذلك، والله قد ألقى على عاتقه مسؤولية الخلافة في الأرض التي عبَّر عنها بالأمانة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴿٧٢﴾**﴾ (الأحزاب: 72).

فأنى له أن يؤديها إذا لم يكن مليئاً بالطموحات الصادقة؟ فلا بد للإنسان من أن يكون طموحاً إلى الخيرات، وإلى الارتقاء بنفسه إلى معالي الأمور، ففي مجال العلم والمعرفة عليه أن يبني له قاعدة واسعة في أغلب الفنون والمجالات، كعلوم الشريعة واللغة والتاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية، وفي السياسة وغيرها مما يمكن أن نسميها الثقافة العامة. وفي مجال العمل عليه أن يطمح إلى الحصول على أعلى المناصب وأفضلها، ليكون شخصية قيادية في أمته، لا أن يكون تابعاً لغيره، فإن الإنسان القائد هو الذي يملي على الناس آراءه وأفكاره، فينفع بذلك نفسه وغيره.

وفي مجال التعامل مع غيره عليه أن يطمح إلى تكوين علاقات حميمية وطيبة مع الجميع قدر الإمكان. وفي حدود الشرع، فإن جسور المحبة تيسر الوصول إلى الغايات إن كانت الوسائل مباحة. وهكذا في مجالات شتى.. فإذا اقتنع الإنسان بمثل هذه الطموحات وجعلها يقيناً راسخاً في نفسه، مدركاً أهمية تطبيقها في الحياة، انتقل إلى المرحلة الأخرى التي تليها وهي التطبيق في الواقع العملي الملموس وتمثل ذلك في السلوك المعاش.

نعم.. الطموحات التي لا يسعى صاحبها إلى تحقيقها إنما هي أمانٍ كاذبة وخيالات سخيفة لا يلبث صاحبها أن يرى الفشل الذريع يهجم على كل أمانيه؛ لأنه ظن نفسه قد بنى ناطحات سحاب سوف يقطنها فإذا بها بقع سراب لا يتوقعها.

فعلى الإنسان أن يجمع دوماً بين الطموح والسعي إلى تحقيقه، حتى يحظى بالنجاح في الوصول إلى ما يصبو إليه، ويكون بذلك أهلاً لتحمل الأمانة، بل ويكون أهلاً للوفاء بحقها.

كما أن النجاح مطلب يسعى إليه كل إنسان، ويتمنى كل شاب الوصول إليه. ومن الأمور المسلم بها أن الإنسان يولد وتولد معه قدرات ومواهب يستطيع من خلال توظيفها الرقي بنفسه في سلم النجاح. ومع هذا فإن الكثيرين قد أخفقوا في تحقيق النجاح المطلوب، وما ذلك إلا لافتقاد عوامله الموصلة إليه من جهة، أو بسبب نمط عيشهم المعتمد على الأمل والأحلام دون التفكير في السعي والعمل

لتحقيق ذلك من جهةٍ أخرى. فتحديد الهدف في الحياة بدقة بما يتوافق مع القدرات الشخصية يأتي أولاً، وبعدئذ العمل على تحقيقه ليكون بداية النجاح الحقيقي لكل فرد.

ويقول عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين معبراً عن طموحه: «إن لي نفساً تواقةً، تمنت الإمارة فنالتها، وتمنت الخلافة فنالتها، وأنا الآن أتوق إلى الجنة وأرجو أن أنالها».

فالنجاح شعور، والناجح يبدأ رحلته بحب النجاح والتفكير فيه. ففكر وأحب وابدأ رحلتك نحو هدفك.. فمن الأشياء المهمة جداً لبداية النجاح هي الحالة النفسية للفرد، فعليك أن تؤمن بأنك ستنجح ـ بإذن الله ـ من أجل أن يكتب لك النجاح فعلاً.

فالناجحون لا ينجحون وهم جالسون لاهون ينتظرون النجاح على اعتقادٍ بأنه فرصة حظ، وإنما يصنعونه بالعمل والجد والتفكير والحب واستغلال الفرص والاعتماد على ما ينجزونه بأيديهم.

واعلم أن التوكل على الله والسير على منهاجه ومراقبته في كل وقت وحين هو الأساس الذي تقيم عليه حياتك في جوانبها، فمن اعتمد على الله كفاه، وفي الحديث «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء». فلكم حلمت أن تتاح لي الفرصة لإكمال دراستي العليا، وها هي الفرصة تأتي ولم يبقَ سوى العمل والتوفيق من الله.

وقد حفظت منذ زمن أبياتاً للإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ منسوجة بخيوط فضية محاكة بأشعة الشمس الذهبية المتلألئة ومرصعة ومزخرفة بالياقوت والزبرجد والمرجان تقول:

ما في المقام لذي عقلٍ وذي أدبِ

من راحةٍ فدعِ الأوطانَ واغترب

سافرْ تجدْ عِوَضَاً عمن تفارقهُ

وانصبْ فإنَّ لذيذَ العيشِ في النَصَبِ

إني رأيتُ وقوفَ الماءِ يُفسِدُهُ

إن سالَ طابَ وإن لم يجرِ لم يطبِ

والأُسدُ لولا فراق الغاب ما افترست

والسهمُ لولا فراق القوسِ لم يصبِ

والشمسُ لو وقفت في الفلك دائمةً

لملّها الناسُ من عجمٍ ومن عربِ

والتِبرُ كالتُربِ ملقىً في أماكنهِ

والعودُ في أرضهِ نوعٌ من الحطبِ

فإن تغرَّب هذا عزَّ مطلبُهُ

وإن تغرَّب ذاك عزَّ كالذهبِ

وكم كنت أرنو وأحلم أن أتفيأ ظلال هذه الأبيات الوارفة، وأقطف من ثمارها، وأستنشق عبير أزهارها، وأنهل من معينها، وأطير في رحابها وفيافيها إلى أن مَنّ الله عليّ فأنالني ما كنت أرنو إليه، وأبتغي إليه السبيل.. وهذا بكرمه وفضله وعظيم إحسانه، فيا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

ما أجمل تلك الساعات والأيام التي يقضيها طالب العلم سعياً لطلب العلم النافع، ماكثاً في بطون الكتب وهو يغوص في لجاتها ومكامن محيطاتها، ينتقي منها الدرر واللؤلؤ والمرجان لأن البحث عن الفائدة وعن العلم النافع ينشران بين طيات النفس وجوانحها السعادة والاطمئنان، فتدب الحياة بين أعطافها وخلجاتها رغم الصعوبات والأهوال والمعاناة والعراقيل التي تحد من سيرنا، وتخلدنا إلى الأرض، وتثبط من عزائمنا. رغم كل هذه العراقيل إلا أن المسافر في طلب العلم يجد السعادة والراحة، ليس راحة الجسد بل راحة الروح والاطمئنان، وذلك عندما يتغلب على تلك العراقيل وهو يتابع المسير إلى المعالي والرقي، وكله همة وعزيمة وجد ومثابرة وكفاح؛ ليعيد لأمته عزتها ومجدها و يفيقها من سباتها ورقدتها التي طال عليها الأمد، ويخلصها من الإرجافات والإرهاصات والتخدير والفتور والوهن الذي علق بها وجعلها تركن إلى الدعة والكسل والراحة.

إنك لا تنهض بأمتك إلا إذا تنازلت عن الراحة والكسل، وتحركت وسافرت؛ لأن الساكن لا يلتهب إلا بالتحرك والانطلاق، فرحلتنا عالمية، والعلم يحتاج إلى سفر، ولقد مضى عهد النوم.

سافر فإن الفتى من بات مغتنماً

قفل النجاح بمفتاح من السفر

إن لكل باب مفتاحاً ومفتاحنا للنهوض بالأمة السفر لطلب العلم، إنه النداء الرباني الموصي بالتحرك والكفاح، إنه قوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ إنها الكلمة التي تلهب ضمير الإنسان وتحرك مشاعره.

يقول ابن القيم: «فالناس منذ خلقوا لا يزالون مسافرين، والعاقل يعلم أن السفر مبني على المشقة وركوب الأخطار ومن المحال عادة أن يطلب فيه نعيماً ولذة وراحة، إنما ذلك بعد انتهاء السفر.. وهيهات هيهات أن يكون انتهاء السفر مع انتهاء الأجل، فتأهب؛ فإن العاقبة كؤود والناقد بصير».

يا أخي انصهر واحترق من أجل هذا العلم الذي يهدي إلى الفَلاح والرشاد، واغترب وعانِ وكافحْ وتحدَّ كل الصعوبات والأهوال والأخطار.. فهذا ثمنه.. وهذا مهره.. ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر.

إن إرهاق الجسد في السفر والتغريب من أجل العلم والمعالي والسمو والارتقاء لهو راحة واطمئنان وسعادة وسكينة في الكنه والمعنى، إنه سعادة الروح التي من أجلها عظم الإنسان.

يا خادم الجسمِ لم تشقَ بخدمتهِ

أتعبت جسمَك فيما فيه خسرانُ

أقبل على الروح واستكمل فضائلَها

فأنتَ بالروحِ لا بالجسمِ إنسانُ

إنه يعني سعة الصدر وانفراجه حيث يقول الإمام الشافعي - رحمه الله:

تغـربْ عن الأوطانِ في طلبِ العُلى

وسـافرْ فـفي الأسـفـارِ خمسُ فـوائدِ

فـتـفـريـجُ همٍ واكـتـسـابُ مـعـيـشـةٍ

وعـلمٌ وآدابٌ وصـــحـــبـــةُ مـــاجـــدِ

فـإنْ قـيـلَ في الأسـفـارِ ذلٌ ومـحـنةٌ

وقطـعُ الفـيـافي وارتكابُ الشـدائدِ

فـمـوت الفـتى خـيـرٌ له من قـيـامـهِ

بدارِ هـوانٍ بـين واشٍ وحـــاســـدِ

اطلب العلى أخي المسلم دائماً؛ فإن موسى عليه السلام لما اختصه الله بالكلام قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ (الأعراف: 143) والمجد لا يأتي هبة، لكنه يحصل بالسعي، وإن أهل الهمم هم صفوة الأمم وأهل المجد والكرم طارت بهم أرواحهم إلى مراقي الصعود ومراتب الخلود ومن أراد المعالي هانت عليه كل همة لأنه لولا المشقة لَسَادَ الناس كلهم.

و نصوص الوحي تناديك ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ (آل عمران: 133). ويقول ابن القيم: لا يُنال العلم إلا بهجر اللذات وتطليق الراحة، قد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم، ومن آثر الراحة

فاتته الراحة. فإن العلم صناعة القلب وشغله، فمن لم يتفرغ لصناعته وشغله لم ينله، ومن لم يغلب لذة إدراكه العلم وشهوته على لذة جسمه وشهوة نفسه لم ينل درجة العلم قط.

يقول ابن القيم: ولولا جهل الأكثرين بحلاوة هذه اللذة وعظم قدرها لتجالدوا عليها بالسيوف، ولكن حُفت بحجاب من المكاره وحجبوا عنها بحجاب من الجهل؛ ليختص الله من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

فاصدق أخي المسلم مع الله؛ فإن صدقته فإنه سيصدقك لا محالة، وابتغ واقصد بمطلبك وجهه ورضوانه سبحانه، واعلم أخي أن كلمتك الصادقة تخرج حارة ملتهبة تسعر النار في القلوب. ومما يُنسب إلى الشافعي رحمه الله قوله:

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حفظي

فأرشدني إلى تركِ المعاصي

وأخبرني بأنَّ العلمَ نورٌ

ونورُ اللهِ لا يُعطى لعاصي

وأما الكلمة التي تخرج باردة فإنها لا تصل إلى القلوب، لذا نحن بحاجة إلى كلمة ذات جمرة ملتهبة الحرارة؛ لتقع في قلوب الآخرين فتلهبها وتحركها، ولن يحدث ذلك إلا إذا كنت صادقاً فيما تقول وتفعل... وها هو محمد إقبال يقول:

أرى التـفكيـرَ أدركـه خـمـولٌ

ولم تبقَ العـزائمُ في اشـتـغـالِ

وأصـبحَ وعظَكُم من غـيـر نورٍ

ولا سـحـرٍ يطلُ من المقـالِ

لعل العلم وتحقيق الإنجازات أو تحقيق جزء مما كان يصبو إليه الشخص، يعد دافعاً لما هو آت.. فالأحلام والطموحات تعد أهدافاً يسعى الأشخاص إلى تحقيقها، ولكن قد يعترض تلك الأهداف بعض المعوقات والحواجز التي قد تعيق بعض أولئك الطامحين، أو تعرقل وصولهم إلى مبتغاهم. ولعلنا نقول: إن بعض أولئك الناس يجدون صعوبة بالغة في الفصل بين بعض مفردات هذه الحياة، ومنها الطمع والطموح، و ما بينهما خيط رفيع من الصعب عادةً تحديده.

فالمشكلة هنا أن الأمر يبدأ دائماً بدافع «طموحي» مشروعٍ وهو حق مكتسب لكل ذي نفس، ولكنه بمرور الزمن قد يتحول إلى هدف «طمعيّ» غير مبرَّر. وإذا كان الطموح وراء كل تطوّر إنساني وتقدّم حضاري أو علمي، فإنَّ الطمع كان السبب لكثيرٍ من الدَّمار والمآسي على مستوى الأفراد والهيئات والدُّول. وبقدر ما احتاجت البشرية في مراحل التاريخ كلّه إلى أشخاص وقادة طامحين يصنعون المجد لأنفسهم ولغيرهم، بقدر ما دفع البشر الثمن غالياً نتيجة لأطماع بعض الأشخاص أو الدول. ولأنَّ الطموح يستهدف الوصول إلى غاياتٍ نبيلة، فإنَّ أصحابه يشدِّدون على الترابط بين شرف الأساليب

ومشروعية الأهداف. أمَّا الطامعون فيمارسون شعار ميكيافيللي المشهور: الغاية تبرِّر الوسيلة، فلا أخلاق تردعهم، ولا ضمير يعذبهم ولا هم يحزنون على ما يفعلون. الطامح في الحياة ينتقل من إنجازٍ إلى آخر، ومن عطاءٍ إلى تضحيةٍ أكبر، بينما الطامع لا يرى العيش سعيداً دون اقتناص الفرص والأشياء والأشخاص. ومن الجدير ذكره أن الخط الأحمر لأولئك الطامحين هو عدم الإساءة للآخرين، وعندما أذكر ذلك فإنني أعي وأعلم ما أقول، فكل نفع جر مفسدة أو كل طموح جر إساءة وخراب على الآخرين أصبح طموحاً أو مكسباً غير مشروع، وفي الجانب الآخر، نجد أن تلك الخطوط هي الخطوط الخضراء الوحيدة المفتوحة دائماً أمام الطامعين. فالطامحون يحصدون الذكر الحسن لهم ولأعمالهم، والطامعون يلهثون لكسب لحظاتٍ في الحاضر على حساب كل المستقبل. الطامح في الحياة هو رمز الخير والعطاء، والطامع في الدنيا هو رمز الشر والخطيئة.

ذلك هو الفرق بين من ذهب هناك ـ إلى أمريكا ـ لتحقيق طموح مشروع وبين من ذهب لتحقيق شيء لا نعلم ما هو، الذي قوبل في نفس الوقت بمن استغل ذلك الطمع أو الطموح غير المشروع لطمع أشد ضراوة.. طمع أكل الأخضر واليابس.. طمع داس على مشاعر ما يقارب المليار مسلم.. طمع الدولة الذي استغل هفوات أناس أساؤوا لدينهم وأهليهم إساءةً بالغة، قد لا يغفرها التاريخ لأولئك الطامحين.

وعندما أذكر هذا الشيء فإنما أنا واحد من أولئك الطامحين ـ طموحاً مشروعاً ـ الذين سعوا إلى تحقيق شيء من طموحاتهم، ولكن وقفت بعض تلك العوائق التي وإن اعترفت إلى هذه اللحظة بأنها

وقفت دون تحقيقي لبعض تلك الطموحات، إلا أنها لن تثنيَني ولن تعيقَني عن تحقيق ما تبقى إن شاء الله. ليس لشيء، ولكنه الأمل.. ولكنها الرغبة الجادة في الوصول، ولعل الأمر فيه خير.

وعلى ذكر هذه العبارة، فقد حدثني أحد الإخوة بقصة عجيبة تتمحورحول هذه العبارة (لعل الأمر فيه خير) فقد ذكر أنه كان هناك رجل صالح في قديم الزمان، صَاحَبَ ملكَ البلاد في ذلك الوقت، وكانا لا يفترقان طيلة اليوم.. وكان كلما أصاب الملك شيء أو منع عنه شيء ردد عليه تلك العبارة (لعل الأمر فيه خير)، إلا أن الملك سئم من ترديد هذا الرجل لتلك العبارة وأصبح لا يحب سماعها. وذات يوم، قُطعت أصبع الملك الصغرى، فما كان من ذلك الرجل الصالح إلا أن قال: (لعل الأمر فيه خير). عندئذٍ غضب الملك منه وقال: ماذا في قطع أصبعي من خير؟ فقد تضررت وتشوهت يدي. عندها أمر بحبس ذلك الرجل الصالح رغم أنه صديقه الخاص وصاحبه، فرد الرجل الصالح بقوله: (لعل الأمر فيه خير). تعجب الملك منه إلا أنه أمر بإيداعه السجن. وبعد مدة خرج الملك إلى الصيد وكان قد افتقد صاحبه الذي كان ملازماً له في رحلاته، ولكنه ذهب وحده، وعندما كان في الصيد إذا بمجموعة من الأفراد يهجمون عليه ويأسرونه، وكان أولئك النفر قد خرجوا للبحث عن صيد سمين ليذبحوه لآلهتهم، وما إن وجدوا هذا الرجل حتى أخذوه ليذبحوه، ولكن عندما هموا بذبحه تفقدوه فإذا بهم يجدون أن أحد أصابعه مقطوعة، وهم لا يريدون أن يذبحوا شيئاً معيباً لآلهتهم. وبما أن أصبع الرجل مقطوعة

فإنه يعتبر معيباً وغير كامل. عندها قاموا بإطلاق سراحه فعاد إلى موطنه، وتذكر كلام صاحبه عندما قال: (لعله خير) عندما قُطعت أصبعه، فأمر بالإتيان به وقص عليه ما جرى، ثم قال: حينما قطعت أصبعي وقلت: لي لعل في الأمر خيراً، كان ذلك مزعجاً لي، ولكن كان فيه خير كثير فعلاً.. فقد تسبب ذلك في عدم ذبحي، ولكن الذي لم أفهمه هو أنني عندما أمرت بحبسك قلت حينها: لعل الأمر فيه خير. فقال الرجل: الحمد لله، فقد كان ذلك فيه خير كثير لي أيضاً، وذلك لأنه لو لم أسجن لكنت ذهبت معك للصيد وكنا قد تعرضنا للأسر، فلما وجدوا أصبعك مقطوعة كنت سأكون أنا البديل الذي سيذبح قرباناً لآلهتهم، ألم ترَ أن ذلك كان فيه خير كثير؟

ونحن نقول: لعل في عدم عودتنا خيراً، ولكن الإصرار على تحقيق ما يصبو إليه الشخص يُعدُّ من الطموح المشروع مع استخارة الله في كل الأمور، ولا سيما تلك الأمور الغيبية التي لا نستطيع الجزم بأن السعي لتحقيقها خير.

وقد أعجبتني أيضا قصة قرأتها في المراحل المتقدمة من أيام الدراسة تدور حول أسد يجري خلف صيد له.. وأذكر أن القصة كانت تقول: إن الصيد كان غزالاً، وخلال جري الأسد خلف هذا الغزال كان الأسد في الوقت ذاته يشعر أن هناك شيئاً ما يلاحقه، وعندما توقف ليرى الذي خلفه، فإذا به ثعلب يجري وقد تبعه من بعيد فما كان من الأسد إلا أن تجاهله، وجعل ينظر إلى الغزال

فوجده قد ابتعد فعاود الركض للّحاق بالغزال.. وبعد مرات عدة استطاع الأسد أن يصطاد فريسته ولكنه وجد الثعلب يتراقص حوله ويصيح..... صدناها صدناها !

وخلاصة القصة أن الإصرار والسعي وراء الهدف دون الالتفات إلى ما يحاول إعاقتنا مع التركيز على الهدف هو ما يجب على المرء الاهتمام به، وترك كل ما يعيق تحقيق هدفه، إضافة إلى أن الفرحة الحقيقية هي لمن حقق الهدف ـ الأسد ـ وليس لمن كان يتراقص فرحاً بتحقق الهدف ـ الثعلب.

وللشيخ عائض القرني كتاب شهير بعنوان «لا تحزن»، تُرجم الكتاب إلى لغات عدة وبيع منه أكثر من مليون نسخة، واعتبر الأول في معارض الكويت، والشارقة، والقاهرة، والمغرب، والجزائر، كما اختير أيضا بالإجماع الكتاب العربي الأول خلال السنوات العشر الماضية، في هذا الكتاب ذكر الشيخ القرني: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴿٢٢﴾﴾ (الحديد: 22).. جفَّ القلمُ، رُفعت الصحفُ، قضي الأمرُ، كتبت المقادير، ﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴿٥١﴾﴾ (التوبة: 51)، ما أصابك لم يكنْ ليُخطئك، وما أخطأكَ لم يكنْ ليُصيبك. إن هذه العقيدة إذا رسختْ في نفسك وقرَّت في ضميرك صارتْ البليةُ عطيةً، والمِحْنةُ منْحةً، وكلُّ الوقائع جوائز وأوسمةً ((ومن يُرِدِ اللهُ به خيراً يُصبْ منه)) فلا يصيبُك قلقٌ من مرضٍ أو موتِ قريبٍ، أو خسارةٍ ماليةٍ، أو احتراقِ

بيت، فإنَّ الباري قد قدَّر، والقضاءُ قد حلَّ، والاختيارُ هكذا، والخيرةُ للهِ، والأجرُ حُصِّل، والذنبُ كُفِّر. هنيئاً لأهلِ المصائب صبرهم ورضاهم عن الآخذِ، المعطي، القابضِ، الباسط، ﴿ **لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ (الأنبياء: 23).

ولن تهدأ أعصابُك وتسكن بلابلُ نفسِك، وتذْهب وساوسُ صدْرِك حتى تؤمن بالقضاءِ والقدرِ، جفَّ القلمُ بما أنت لاقٍ فلا تذهبْ نفسُك حسرات، لا تظنَّ أنه كان بوسعِك إيقافُ الجدار من أن ينهار، وحبْسُ الماءِ من أنْ ينْسكِب، ومَنْعُ الريحِ من أن تهبَّ، وحفظُ الزجاج من أن ينكسر، هذا ليس بصحيحٍ على رغمي و رغمك، وسوف يقعُ المقدورُ، وينْفُذُ القضاءُ، ويحلُّ المكتوبُ ﴿ **فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ** ﴾ (الكهف: ٢٩).

استسلمْ للقدر قبْل أن تطوّق بجيش السُّخْط والتذمُّر والعويل، اعترفْ بالقضاءِ قبْل أن يدهمك سيْلُ النَّدمِ، إذن فليهدأ بالُك إذا فعلت الأسباب وبذلت الحيل، ثم وقع ما كنت تحذرُ، فهذا هو الذي كان ينبغي أن يقع، ولا تقُلْ: «لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قُلْ: قدَّر اللهُ وما شاء فعلْ».

في الواقع لو تأملنا أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وكنا أكثر شفافية مع النفس لوجدنا أن تلك الأحداث كانت شماعة عُلِّق عليها فشل بعض الذين كانوا يجرون وراء بعض أهدافهم ـ غيرالشرعية ـ أو من كان ينتظر مثل تلك الظروف ليرمي عليها سبب فشله، أو لنقل عدم مقدرته على تحقيق هدفه رغم شرعية ذلك الهدف، ولكن ما هو

مسلَّم به أنها كانت أيضا أهم عائق لتحقيق أغلب الذين كانوا يسعون إلى تحقيق أهداف معينة نخص منها على سبيل المثال ـ وهو محور كلامنا ـ الأهداف التعليمية، رغم أن هناك أشخاصاً قد أعانهم الله على تحقيق ما كانوا يصبون إليه، رغم تلك الصعوبات التي واجهتهم ورغم الضغوط النفسية التي صاحبت تلك الحقبة.

وحينما شرعت في تدوين وكتابة هذا الكتيب إنما كان القصد منه تدوين أحداث خاصة.. مفرحة تارة ومحزنة تارة أخرى.. وقعت لي خلال مدة إيفادي، منها ما هو شخصي جداً ـ لي ولعائلتي ـ ومنها ما كان له تأثير في سير دراستي ودراسة بعض الأصحاب والزملاء، وكذلك التطرق إلى تلك الحقبة وما صاحبها من ظروف وتداعيات أثرت سلباً وإيجاباً في سير بعض الأمور، وغيرت في أغلب الأحيان مجرى الحياة ونظرة العالم إلى كل الأمورالمتعلقة بالنظرة الشاملة لهذا العالم الصغير. ولعل تلك الأحداث قد كشفت أموراً كانت مخفية.. فبعد الحادي عشر من سبتمبر، باتت القضية أكثر حدة، فموجة العداء لكل ما هو أميركي في تنامٍ تغذيها حماقة السياسة الأميركية الخارجية ووسائل الإعلام التي تخاطب غرائز رجل الشارع وتلعب بعواطفه. وهو ما يجد قبولاً في مجتمعات تضعف فيها التنمية وينحسر فيها تصاعد نمو الاقتصاد والمعرفة. وأمور كان يتحين أصحابها الفرصة لإخراجها إلى السطح وتسييرها حسب رغباتهم وتوجهاتهم.

ونحن هنا لن نحاول البحث عن الحقيقة؛ لأن ذلك قد يحتاج إلى عقود من الزمن كمثيلاتها من الحوادث الأمريكية التي شغلت العالم والشعب الأمريكي لسنين عدة، ومنها: مقتل الرئيس كيندي، ووترغيت،

وإيران غيت، وغيرها.. إلا أن هذه الأحداث وتلك الحرب غيّرت بلا شك مجرى الحياة، فانقلبت الحياة بعدها إلى حرب لن تنتهي؟ إنها الحرب على (الإرهاب).. هذه الكلمة التي لم يستطع العالم حتى الآن الاتفاق على تعريف واضح لمعناها، حتى نحدد مواقفنا منها.

الاستعداد للسفر

أصبح العالم الحديث في حالة حركة دؤوبة وسفر متواصل، بحيث تتسع شبكات الاتصال أرضاً وجواً كل يوم لاستيعاب هذا التواصل، والضرب في الأرض طلباً للرزق والمتعة والراحة والثقافة العلم.

وإن تستعد لسفر رحلة قصيرة، قد يحتاج منك الأمر إلى أيام للاستعداد والترتيب لتلك الرحلة، سواءٌ أكان ذلك للسياحة أم لغير ذلك. وإن كانت الرحلة لقضاء إجازتك السنوية فإن ذلك يحتاج إلى شهور قبلها للاستعداد، وذلك بتجهيز الحجوزات اللازمة للطيران أو السكن المناسب أو السيارة ـ إذا تطلب الأمر ذلك ـ والميزانية الخاصة بتلك الرحلة، فما بالك والأمر هنا يختلف. فأنت مقبل على رحلة طويلة تستغرق منك سنوات، تغير فيها مجتمعك وبيئتك وكل شيء حولك.. ناهيك عن العائلة الكبيرة ما شاء الله (زوج ـ ابنتين ـ ولدين).

على أية حال، فقد اعتدت ألا أتحدث في مثل هذه الأمور الحيوية والمهمة جداً في حياتي إلا بعد أن تكتمل الصورة ويتحدد الأمر كاملاً. وعليه، فلم أتحدث مع الأهل حول مسألة الإيفاد، رغم أن إجراءات

الإيفاد قد استغرقت زهاء السنة، ولكنني بعد انتهاء الأمر لم يتبقَ لي سوى التأشيرة فقط، فقمت بالتحدث مع أبي وأمي وزوجي.. رغم إحساسها بأن هناك أمراً جللاً. وقد فرح الوالدان وباركا الرحلة ودعيا لي، وكذلك زوجي.. فقد كانت أكثر الناس سعادة بذلك، حيث كان حلمها أيضاً أن أكمل دراستي العليا.

كان لدي ابنتان كان عمراهما في ذلك الوقت (9، 11) سنة. وكان هذا الأمر يؤرقني بشدة، فسوف تكون سنوات المراهقة في ذلك البلد المختلف عنا في الدين والعادات والتقاليد.. ناهيك عن الأمور الأخرى. ولعل من الأمور المهمة في حياتي هو التصاقي بعائلتي وأبنائي لدرجة كبيره جداً، وبصريح العبارة (بيتوتي).. فكنت لا أذهب إلى أي مكان إلا وهم معي، ولا أستطيع أن أستمتع دونهم. لذلك كان هناك خيار صعب.. إما أن أتركهم مع أبي وأمي في الرياض، وإما أن يسافروا معي. ولكن لعلمي ولتأكدي التام بأنني لن أستطيع فراقهم، فقد عقدت العزم على أخذهم معي مع إعطائهم الصورة الواضحة عن الوضع هناك وشرح ما هو متوقع في ذلك البلد.

ومن الأمور الأخرى التي بدأت أعدّ لها الأمور المالية والشخصية المتعلقة ببيتي وأثاثه وكل ما هو متعلق بالسفر. كذلك قمت بسحب ملفات الأبناء من المدارس وتصديق الشهادات من المندوبية والخارجية مع أخذ الحيطة وترجمة كل الشهادات الدراسية للبنات.

أنهيت إذاً كل الإجراءات وغادرت الخبر ـ مدينتي المفضلة ـ إلى الرياض انتظاراً للحصول على التأشيرة. ففراق الخبر ـ العقربية تحديداً ـ أمر شق عليَّ، لأنها تلك المدينة الحالمة التي عشت فيها أجمل وأحلى أيام حياتي. ولكن هو الطموح، الذي يجعل الإنسان يتخذ قرارات صعبة. وبالمناسبة.. فقد رفضت عروضاً كثيرة للعمل خارج مدينة الخبر قبل هذا الوقت، لا لشيءٍ سوى لعشقي هذه المدينة.

في انتظار التأشيرة

ذهبت أنا وعائلتي إلى مدينة الرياض بجوار الوالد والوالدة والإخوان انتظاراً للحصول على التأشيرة. ومن المفارقات حصول زوجي والأولاد (وهم مرافقون لأمهم في جوازها) على التأشيرة في مدة قصيرة لا تتعدى أسبوعاً فقط، أما بالنسبة لي فقد طال الانتظار وتاهت وتشتّتت الأفكار، فلقد عانيت الأمرين من تأخر الموافقة على إصدار التأشيرة. ولعل تواجدي بالرياض قد مكنني من متابعة إصدار التأشيرة مع السفارة عن قرب، ولكنني كلما كنت أسأل عن سبب التأخير، كانت الإجابة دائماً أن عليَّ الانتظار حتى يقوموا هم بالاتصال بي، رغم استغرابهم من أن الموضوع قد طال وأخذ وقتاً أطول من اللازم. فقد تقدمت بطلب الحصول على التأشيرة في بداية شهر إبريل 2001 م، ونحن الآن في بداية أغسطس 2001 م، وقد اقترب

موعد بدء العام الدراسي. وكنت قد أنهيت إجراءات سحب ملفات أبنائي من المدارس.. الأمر الذي جعلني في حيرة من اتخاذ أي قرار، بل والعجز التام، بسبب ما ذكرت من سحب ملفات الأولاد من المدارس، كما قدمت زوجتي طلباً للحصول على إجازه دون راتب من عملها.

كل ذلك جعل الوضع يزداد صعوبة، وأحسست حينها بأنه لا نصيب لي في هذه البعثة، فلجأت إلى الله عز وجل، وفوضت أمري إليه. فكم حث الإسلام العبد على أن يصبر على البلاء؛ لأن صبره هو الذي يكسبه الأجر، كما أمر الله الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصبر كما صبر الرسل السابقون فقال تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾**﴾ (الأحقاف: 35). وقد بين القرآن أن أحد أقسام البر هو الصبر في الشدة والابتلاءات فقال تعالى: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾**﴾ (البقرة: 177).

وقد بين الحديث الشريف أن أمر المؤمن كله خير، إن أصابه الخير شكر الله عليه فازداد أجره، وإن أصابته ضراء صبر، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «عجبًا لأمر المؤمن إنما أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا المؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن

أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» (رواه مسلم). وليس من شك في أن المصائب وما ينتج عنها من حزن تكون مدعاة لتكفير الذنوب، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه» (رواه البخاري).

وبعد ثلاثة أشهر من الانتظار في مدينة الرياض كان عملي يتابع الوضع، وكانوا معي على اتصال مستمر، حتى إن أحد الزملاء اتصل بي، وذكر أن التوجيهات قد صدرت بأن أعود للجامعة وأباشر العمل حتى تأتي التأشيرة، وكان ذلك يوم الأربعاء الموافق 10 أغسطس 2001، وقد أوكلت أمري لله. وفي يوم السبت 13 أغسطس كانت الفرحة كبيرة، عندما اتصلت بي السفارة الأمريكية تبلغني بالموافقة على صدور التأشيرة.. فقلت: الحمد لله، فُرجت.

وداع الأهل

كان الانتظار صعباً للغاية، على الرغم من أن الأمور السياسية كانت على ما يرام في ذلك الوقت، إلا أن الانتظار حشد خلفي كل المهتمين بسفري، مما أكسبني نوعاً من التعاطف مع وضعي، ولا سيما أنني ساعتها كنت قد أنهيت كل الإجراءات الخاصة بسفري. ولعل ذلك الانتظار قد جعل من حصولي على التأشيرة إنجازاً ونجاحاً فرح به كل

من حولي فرحة عامرة عمت جميع الأهل والأصدقاء. فتلقيت التهاني من الجميع، مما سهل عليَّ الأمر، وخفف من حرقة الوداع، فالكل كان متعاطفاً يقول عليك بترتيب أمورك والسفر بسرعة. بعدها بدأت الاستعداد للسفر رغم أنني قمت بتغيير موعد السفر أكثر من مرة، بسبب ما ذكرت سابقاً من أمر تأخر التأشيرة. كان هدفي أن أسافر إلى أمريكا قبل بدء الدراسة بمدة كافية، لكي أقوم بترتيب وضعي والتزاماتي الأخرى من تسجيل الأبناء في المدارس وتجهيز السكن المناسب وخلافه.

ولكن عندما تحدد موعد السفر، حانت لحظة الوداع، فكانت من أصعب اللحظات.. كانت مشاعري متضاربة بين الحزن لفراق الأهل والإخوان، ووداع الأحبة من جهة، والفرح بالسفر لتحقيق هدف معين أسعى لتحقيقه والوصول إليه من جهة أخرى. إلا الوالدة.. فقد انتابها حزن كبير وبكت كثيراً لدرجت أنني فكرت في عدم الذهاب خوفاً عليها، رغم أنها كانت حزينة عند تأخر التأشيرة، وكانت تدعو لي بالتوفيق والحصول على التأشيرة، وألاّ يضيع الله تعبي. خرجت من البيت أنا وإخوتي إذ أصرّوا على توديعي من المطار، وقد احتاج الأمر إلى سيارتين منها سيارة (pick up) وذلك لكثرة الحقائب.

وأقلعت الطائرة

كانت الرحلة متجهة من الرياض إلى نيويورك على الخطوط السعودية، ومنها على خطوط طيران TWA الأمريكية، إلى مدينة سانت لويس بولاية ميزوري وسط أمريكا، ومنها إلى مطار مارين المحلي بولاية إلينوا.

كان موعد إقلاع الطائرة الساعة التاسعة من مساء يوم الأربعاء الموافق 17 أغسطس 2001، فتوجهنا إلى المطار، ومعنا حقائبنا الكثيرة.. حقيبة واحدة لكل فرد من أفراد العائلة، إضافة إلى حقيبتين من الحجم الكبير (x-large).

وبعد قليل من الانتظار تم النداء على الرحلة المغادرة إلى نيويورك، وعند سماعنا للنداء قمنا بتجميع باقي أغراضنا، وصعدنا إلى الطائرة. وكنت قد طلبت أن تكون المقاعد الخاصة بنا داخل الطائرة على خط واحد، لنتمكن من الجلوس، فكان الشعور خليطاً من الدمعة والفرحة؛ دمعة لفراق الأهل والإخوان والأصحاب، ودمعةٌ للذهاب إلى عالم مجهول بالنسبة لنا.. ولا سيما أنها كانت المرة الأولى التي أسافر فيها إلى أمريكا، وفرحة بالذهاب إلى تحقيق حلم لطالما طال انتظاره.

أقلعت الطائرة.. والكل مترقب.. فقد كانت أطول رحلة بالطائرة قمنا بها لا تتعدى الأربع ساعات، وهذه الرحلة تصل إلى ثماني عشرة ساعة، تقطع فيها آلاف الأميال. الطائرة الآن فوق مدينة الرياض.

وعندما ألقيت نظرة من النافذة على الرياض رأيت تلك المدينة الجميلة الكبيرة في وسط الصحراء تعج بالأنوار فقد جعلت من ليلها نهاراً. عندها تذكرت مدينتي الحالمة، تلك المدينة التي عشت فيها أجمل أيام حياتي.. الخبر.. تلك المدينة التي تقع على ضفاف الخليج العربي. تذكرت جمالها.. هدوءها.. تلك الأيام الجميلة على شواطئها الساحرة.. تذكرت أن حبها حرمني من عروض كبيرة للعمل خارجها، اعتقدت أنني بابتعادي عن مدينتي سأكون في غربة، ولم أتوقع أن حبها هو غربتي الحقيقية!

كنت أتوقع أن أكون آخر رجل سيخرج من هذه المدينة، وبعدها لن يخرج أحد.. فالباقون لا تبدو عليهم ملامح الاقتناع بفكرة خوض مثل تلك التجربة التي يخشونها. هل سيجدون تلك الوعود التي لم تكن محل اقتناعهم؟ هكذا كنت أظن مثلما يظن القليل من سكان مدينتي الحالمة بالعيش خارج مدينة الخبر.

كنت أشفق على من يستعدون للرحيل أو لمحاولة الرحيل، فهم ما زالوا يحاولون برغم ما يتجشمونهُ من مشقة وعناء في ترتيب رحالهم بكل دقة وسكينة غير مدركين وقت المسير، ورغم إشفاقي إلا أن شعوري بهم بين الضوء والعتمة كان يحرك لدي إحساساً غريباً يشبه ما أشعر به وأنا أرقب ظلام الليل فوق مدينة الرياض، وأترقب احتراق قرص الشمس كي أعلن لهم ميلاد يوم جديد من حياتي، يبدأ مع ملامسة شعاع الشمس لأطراف أسوار مدينة أخرى. انشغل الجميع في الطائرة بما يهمهم، فبعضهم توسد ذراعه ونام، والبعض الآخر عاش مع الفيديو والتلفاز، وآخرون يقرؤون، إلا أن بناتي كن يكتبن تلك اللحظات ويوثقنها في مذكراتهن الخاصة.. أما أنا فلم أفق إلا على ذلك الصوت الناعم وسؤالها: ماذا تحب أن تشرب، عندها أجبتها بتلقائية وسرعة متناهية ـ أحب الخبر!!

استمرت الرحلة وكانت شيقة بالنسبة لنا، لأنها الأولى بهذا الطول، ولأننا ذاهبون إلى عالم جديد عالم مليء بالمفارقات الكثيرة، ولا نعلم ما يخبئه لنا القدر... ولكن من الأشياء الجميلة آنذاك وجود مكان مخصص للصلوات في مؤخر طائرة الخطوط السعودية... كان يتعاقب عليه المصلون يؤدون فيه صلواتهم بكل طمأنينة، وبعدها يعودون إلى مقاعدهم.. إلا أن بعضهم كان يتأخر قليلاً لأخذ بعض الراحة وتمديد رجليه بالتحدث مع بعض الموجودين.

أعلن الطيار اقترابنا من مطار كينيدي بمدينة نيويورك، وأن على الجميع العودة للمقاعد والاستعداد للهبوط، وقام الملاحون بمناولتنا أوراق الجوازات الأمريكية للقيام بتعبئتها.. بدأت اللحظات تتسارع للذهاب للعالم الجديد.. هبطت الطائرة بسلام.. قمنا بلملمة جميع الأغراض والاستعداد للنزول لأرض المطار.

اليوم هو الثامن عشر من أغسطس 2001، ذهبنا إلى الجوازات بعد أن قمنا بتعبئة النماذج التي وزعت من قبل طاقم الطائرة الخاصة بدخول أمريكا، وقد سمح لنا بالدخول وتوجهنا إلى العفش (الحقائب) وساعدنا فيها أحد العاملين، حيث كانت الرحلة الثانية على خطوط أخرى.. إلى مدينة سانت لويس بولاية ميزوري وسط أمريكا.

أدخلت الحقائب إلى الكاونتر، وأعطينا البطاقات الخاصة بها، وذهبت بعدها ـ أنا والأهل ـ إلى صالة الانتظار، فقد كان موعد الرحلة الثانية في الساعة الثانية ظهراً، ونحن الآن في التاسعة

صباحاً.. كان مطار نيويورك يعج بالمسافرين، فأخذنا نتجول بالمطار إلى أن حان وقت صلاة الظهر، فقمت بأداء الصلاة بالصالة.. كذلك فعلت زوجتي.. توجهنا بعد ذلك إلى بوابة دخول الطائرة حيث قمنا بالانتظار بعض الوقت إلى أن تم الإعلان عن موعد الإقلاع، وخلال مدة الانتظار تعرفت على أحد الإخوان السعوديين من المبعوثين للدراسة بأمريكا، ودار بيننا حديث عن هموم الابتعاث وذكر لي أن الأمور طيبة وأن كل شيء متيسر، وذكرت له ساعتها أن الناس في السعودية قد خوفوني من حمل بعض الأغراض في الحقائب، ولكن في نيويورك لم يقم أحد بفتح الحقائب، وبقيت كما شحناها.. عندها رد علي قائلاً بلهجته المكاوية: (يا بويه إنت جاي من السعودية مو من مكان ثاني، يعني إيش راح تهرب؟ موية زمزم.....؟؟؟).

وصلنا مطار سانت لويس الساعة الرابعة عصراً، وانطلقت الرحلة الثالثة في الساعة الخامسة إلى مطار مارين المحلي بولاية إلينيوي، وأتذكر أننا كنا متأخرين، وقد كانت المسافة كبيرة بين بوابة وصولنا وبين بوابة المغادرة، فأسرعنا في خطونا لكي نتمكن من الوصول قبل الإقلاع.. كنت أتسابق مع الأولاد للوصول إلى البوابة قبل إغلاقها، وقد ساعد السير المتحرك كثيراً في وصولنا بسرعة. ولدى وصولنا.. توجهنا إلى الطائرة.. وكم كانت المفاجأة كبيرة لنا، فقد كانت الطائرة صغيرة جداً تتسع لخمسة عشر مسافراً فقط ! تفاجأنا ولكن لم يكن لدينا خيار آخر، صعدنا إلى الطائرة، وشعرنا بالدوران.. بالغثيان.. ولكن تحملنا، فقد كانت كل حركة لها.. صعوداً أو هبوطاً.. تشعرك برحلة الموت.

قبل ذهابي إلى أمريكا كنت على اتصال مع أحد الإخوان السعوديين في مدينة كاربنديل كان موفداً من قبل جامعة الملك فهد إلى الجامعة نفسها التي سوف أذهب إليها، كان هذا الأخ (أبو مبارك) بمثابة الأخ والصديق، وصادف يوم سفري عودته إلى السعودية خلال إجازة الصيف لأخذ عائلته للعيش معه في أمريكا، ولكنه لم ينسَ، فقد أوصى أحد أصدقائه هنا باستقبالي وحجز الفندق المناسب لي ولعائلتي.

❀ ❀ ❀

أول الغيث قطرة

وصلنا إلى مطار مارين وكان أحد الأصدقاء الأعزاء في استقبالنا.. ونظراً لأن الطائرة كانت كما ذكرت لا تتسع لأكثر من خمسة عشر مسافراً، فلم يكن ثمة مكان بها لكل حقائب المسافرين، فأخبرونا بأن بقية الحقائب سوف تصل في اليوم التالي، وسوف يقومون هم بالاتصال بنا حال وصولها. أخذنا الأخ العزيز إلى فندق The Best Inn في مدينة كاربنديل، حيث حجز لنا غرفة.. وكانت الساعة تشير إلى السادسة مساءً، ثم غاب عنا بعض الوقت وأحضر لنا عشاءً خاصاً من بيته، بعدها.. وبعد أن أنهكنا التعب.. خلدنا إلى النوم في غرفة واحدة.. أنا.. وزوجتي.. وأربعة أطفال.

❀ ❀ ❀

مدينة كاربنديل

مدينة كاربنديل تعد من المدن الصغيرة في جنوب ولاية إلينوي التي تقع بها مدينة شيكاغو الشهيرة.. وتشتهر ولاية إلينوي بالإنتاج الزراعي والحبوب بالذات، ولذلك تجد أغلب السكان من الريفيين المزارعين وكذلك المتقاعدين. كاربنديل مدينة تعتمد اعتماداً كلياً على جامعة جنوب إلينوي، حيث تبعد حوالي 250 ميلاً عن مدينة سانت لويس الشهيرة في ولاية ميزوري وسط أمريكا، كما تبعد حوالي 500 ميل جنوب مدينة شيكاغو. وجو هذه المدينة معتدل جداً في الصيف وبارد في فصل الشتاء، وتهطل الأمطار عليه طوال العام، إذ تنزل الثلوج بصورة كبيرة ولاسيما خلال شهري ديسمبر ويناير. ولعل الشيء الملفت هو تمييز الفصول الأربعة بوضوح خلال العام.. الصيف، الخريف، الشتاء، الربيع.. وترى تلك الألوان الجميلة خلال فصل الربيع. وسبق أن تعرضت تلك المدينة إلى إعصار (تورنيدو) لذلك تجد أن كاربنديل دائماً تقع تحت تهديد تلك الأعاصير والصواعق التي لم أسمع ولم أرَ لها مثيلاً إلا في تلك المنطقة. ويوجد بمدينة كاربنديل مركز تجاري كبير للتسوق يضم بعض المحلات التجارية المشهورة مثل Famous-par، كذلك يوجد بالمدينة فرع للشركات المشهورة Wal-Mart وKmart، وإجمالا.. فإن عدد سكان كاربنديل يقارب 50000 نسمة.

ضياع الحقيبة

في اليوم الثاني من وصولنا ذهبت إلى الجامعة وأخبرتهم بوصولي وأطلعتهم على المراسلات والقبول، وبدأت الدراسة وقد كانت القلوب ترحب قبل الألسن والوجوه مبتسمة وكل الأمور ميسرة. وعند عودتي إلى الفندق وجدت المطار قد اتصل وذكر أن باقي الحقائب قد وصلت. ذهبت أنا وأحد الإخوان إلى المطار.. ولكنني وجدت أن هناك حقيبة مفقودة وأبلغتهم بذلك، فذكروا لي أن هذه هي كل الحقائب المتأخرة والموجودة بمطار سانت لويس، ومع إصراري بأن أحد حقائبي ـ التي لسوء الحظ كانت الحقيبة الخاصة بي ـ ليست موجودة، فطلبوا مني أن أقوم بتعبئة أنموذج مطالبة على أن أذكر كل محتويات الحقيبة والقيمة الفعلية لكل المحتويات، وقد قمت بتعبئة الأنموذج إلا أنه عند ذكر المحتويات لم أتذكر كل الموجودات علاوة على ما كانت تحتويه من أشياء وأوراق رسمية وكتب لا تقدر بثمن. وبعد أسبوع قاموا بإرسال رسالة مرفق بها شيك بـ 120 دولاراً.. عندها أخذت الرسالة إلى المكتب القانوني بالجامعة وشرحت لهم الأمر، فقالوا لي بأنهم سوف يتفاهمون مع شركة الطيران، وبعد محاولات أرسلت شركة الطيران شيكاً بـ 1200 دولار.. أما الحقيبة فلم تعد وذهبت أدراج الرياح.

فندق The Best Inn

كما ذكرت سابقاً، تأخري في الحصول على التأشيرة تسبب في حرماني من أمور كثيرة ومنها الحصول على سكن ضمن مساكن الجامعة، فقد حجزت عن طريق الإنترنت قبل وصولي بمدة الشهرين على أن يكون موعد قدومي في الأول من أغسطس 2001، ولكن عند وصولي إلى الجامعة سألتهم عن إمكانية الحصول على سكن داخل الحرم الجامعي فذكروا لي أن الموعد قد انتهى وأن عليَّ الانتظار.

مرت الأيام... وكل يوم ينقضي أتأمل في اليوم الذي يليه لعلها تفرج.. وخلال تلك المدة عاد الأخ (أبو مبارك) الذي كنت معه على اتصال من السعودية، حاولت خلال تلك المدة أن أجد مكاناً أخر بدلاً من الفندق.. ولسوء الحظ لم أجد إلا أماكن دون المستوى. وبعد مدة ذكر لي أبو مبارك أن أحد الإخوان السعوديين قد أنهى دراسته وسوف يعود للوطن، ولعلنا نستطيع أن نحصل علي بيته بعد الترتيب مع إدارة الإسكان في الجامعة.. وافقت إدارة الإسكان شريطة أن أقوم باستلام البيت كما هو دون صيانة. ومن المصادفة الجميلة أني تمكنت من الحصول على بيت ذلك الأخ وبعض أثاث المنزل علاوة على شراء سيارته الخاصة. و بعد خمسة عشر يوماً تمكنت من الحصول على السكن المناسب وبأجر مادي مناسب واستقرت أموري بعض الشيء.

خلال تلك المدة كنت حريصاً جداً على معرفة القوانين والأنظمة..

سواءٌ على المستوى الفردي أم العائلي.. ولذلك، فقد قمت بجمع معلومات حول الأنظمة والقوانين وحرصت على تعليم وتوجيه أسرتي إلى أهمية احترام الأنظمة وعكس صورة جميلة عن ديننا وبلدنا، لاعتقادي بأننا سفراء لهذا الدين وهذا البلد. وبذلت قصارى جهدي حتى يتمكن جميع أفراد أسرتي من إتقان اللغة الإنكليزية، لأن ذلك سيحميهم.. وسيجعلهم يفهمون كل ما يدور حولهم فلا يكونون فريسة سهلة للجهل باللغة.. فكما نعرف جميعاً (أن من عرف لغة قوم أمن مكرهم).

❀ ❀ ❀

معاناة المدارس

خلال تلك المدة حرت كثيراً في اختيار مدارس البنات. فالبعض ينصح بضرورة اختلاطهم مع غيرهم في المدارس الأجنبية، لأنه وللأسف لم يكن في الولاية التي أدرس بها مدارس عربية. عندها استخرت الله وقررت تسجيلهم في المدرسة الأمريكية مع مراقبة الوضع. وعند ذهابنا لتسجيلهم تفاجأنا كثيراً بسهولة ويسر التسجيل، فلا روتين ولا تعقيد ولا مطالبة بإتقانهم للغة الإنكليزية، كما كان التعامل معنا أكثر من رائع، وكان استقبالهم لنا حاراً.. وتم التسجيل.. وشرع الأولاد في التوجه إلى مدارسهم في اليوم التالي مباشرةً.

❀ ❀ ❀